

٢٣ - المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد ولبيم

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل العاشر - « العرفات »

لا تكاد القرية المصرية تخلو من ضريح ولى يزوره الكثيرون ولا سيما النساء في يوم خاص من الأسبوع . ويحمل بعض النساء إلى هنالك خبزاً للعابرين الفقراء وغيرهم . ويضع بعضهم أيضاً قطعة صغيرة فوق القبر تقدمه للشيخ أو صدقة لأجله . وقد اعتاد الفلاحون كذلك أن يندروا أوليائهم ذبائح . مثال ذلك أن يندر الرجل للشيخ فلان (المتوفى) معزراً أَرْضَانًا إذا أبل من مرض أو أنجب ولداً أو بلغ صراماً ، فيضحى بالذبيحة عند قبر الشيخ إذا قضى حاجته حالته ، ويولم بلحم التندر للفقراء . وثواب ذلك يبقى للولى . وكثيراً ما يندر الجدياء الصغيرة لتذبح في المستقبل فيشرم أذنبا البنى أو يعلها بعلامة ما . وليس من النادر أن يندر الفلاح نذراً لا يتنى منه شيئاً غير البركة . وقد يندر أحياناً عجلاً يذبحه حين يكبر ويسمن ، فيترك العجل طليقاً يعري يرشاء الجيران في كل مكان حتى حقول القمح . ثم يذبح العجل ويؤدب بلحمه مادية عامة . وكثيراً ما ذُبجت ثيران كبيرة بهذه الطريقة

يكرم كل ولى مشهور تقريباً بالاحتفال بمولده فيزور الناس قبره في ذلك اليوم تبركاً ، ويستأجرون الفقهاء لتلاوة القرآن على روح الولى . ويقوم الدراويش بالذكر . ويطلق من يسكن بجوار الضريح مصاييح أمام أبوابهم ، ويقضون نصف ليلهم في التدخين واحتساء القهوة والاستماع إلى رواة القصص في القاهى أو تلاوة القرآن والأذكار . وأمام بابي الآن عدة مصاييح علفت احتفالاً بمولد شيخ يجاور ضريحه المنزل الذى أسكنه . وكثيراً ما يعلق المسيحيون المصريون كذلك المصاييح في مثل تلك الأحوال .

وتستمر هذه الأعياد بضعة أيام غالباً . وأشهر موالد القاهرة بعد المولد النبوى مولدا الحسين والسيدة زينب ، وقد وصفتهما في فصل لاحق من الأعياد الدورية العامة في مصر . ولا يواصل أكثر المصريين زيارة قبور الأولياء المشهورين للتبرك فحسب ، وإنما يواصلونها خشية نزول المصائب بهم إذا قصروا في ذلك . وهكذا يقاسى الآن أحد معارفى صرخاً يعزوه إلى إهماله حضور مولد السيد احمد البدوى في العامين الأخيرين ، وقد جاء أوان الاحتفال بأحد موالده . ويكاد صرخ هذا الولى يجتذب زائرين من العاصمة وأحاء مصر السفلى أثناء الموالد السنوية الكبيرة بقدر ما تجتذب مكة حجاجاً من أنحاء العالم . ويقام للسيد البدوى ثلاثة موالد سنوية إكراماً له . ويقام أحدها حوالى اليوم العاشر من شهر طوبه (١٧ أو ١٨ يناير) والثانى في الاعتدال الربيعي^(١) أو نحو ذلك ، والثالث وهو المولد الكبير يقام بعد الانقلاب الصيفى بشهر تقريباً (أو حوالى منتصف شهر أيب) عند ما يزيد ارتفاع النيل ولم تقطع السيود بعد . ويستمر كل مولد ثمانية أيام ، فيبدأ يوم جمعة وينتهى بعد ظهر الجمعة التالية . ويقام في كل ليلة ألعاب نارية . ويحتفل بمولد السيد ابراهيم الدسوقى بعد كل من الموالد السابقة بأسبوع في دسوق على الضفة الشرقية من فرع النيل الغربى . وكان السيد ابراهيم ولياً ذائع الصيت بلى السيد البدوى في الشهرة . وتعتبر موالد السيد البدوى والسيد ابراهيم الدسوقى أسواقاً طمة فضلاً عن كونها أعياداً دينية ، ويقم أكثر زائرى مولد السيد ابراهيم في مصابيحهم . ويمرض بعض دراويش السمعية من أهل رشيد ألعابهم بالثعابين ، ويحمل بعض هؤلاء ثعابين شد فيها بحلقة فضية وقاية من لدغها ؛ وبأكل آخرون بعض هذه الثعابين حية . ولا يزيد الاحتفال اللبني في الموالد جميعاً على إقامة الذكر^(٢) وتلاوة القرآن . وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون - كما كان يفعل اليهود - بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحياناً بغطاء جديد ؛ وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود^(٣) .

يكتر الدراويش في مصر كثرة عظيمة ، ويحتزم المصريون

(١) ويسى (شمس الكبيرة)

(٢) سأصف الذكر وصفاً تاماً في فصل آخر عن الأعياد الدورية العامة

(٣) انظر انجيل متى ٢٩/ ٣٢

و (السعدية) فرقة أخرى من الرقاعية أشهر من الأولى أسماها الشيخ سعد الدين الجبأوى - وأعلامها وعمامهم أعضائها خضراء وقد تكون العمام قاتمة . ويوجد في هذه الطائفة دروايش يمكنون الثعابين السامة والقارب بلاخوف ، ويلتهمون بعضها . إلا أنهم ينزعون أنياب الثعابين حتى يأمنوا شرها . ولا شك أنهم يمدمون القارب سمها أيضاً . ويركب شيخ السعدية في بعض المناسبات كولد النبي (صلى الله عليه وسلم) حصاناً ويسير به على أجسام بعض دراويشه وغيرهم وهم راقدون على الأرض . ويقرر جميعهم أن وطء الحصان لم يؤذهم^(١) ويسمى هذا اللوكب (الدوسة) . ويعيش الكثير من دروايش الرقاعية والسعدية على إخراج الثعابين من البيوت . وسأنتكلم عن براعة هؤلاء المشومزين في فصل آخر .

ثانياً : (القادرية) أسسها السيد عبد القادر الجيلاني التتية المذكور . وبيارق القادرية وعمامهم بيضاء . وأغلبهم صيادون فيجملون في المواكب الدينية شباباً مختلفين الألوان رفوفهم على دعائم تميزاً لطائفتهم .

ثالثاً : (الأحمدية) وهم طائفة السيد أحمد البدوي . وهذه الطائفة كثيرة العدد ومحل الاحترام . وراياتهم وعمامهم حمراء . وتعتبر (اليومية) ومؤسساها السيد علي البيوي ، و (الشعراوية) ومؤسسها الشيخ الشعراوي^(٢) و (الشناوية) ومؤسسها السيد علي الشناوي فرقة من الأحمدية . ويشترك الشناوية في اليوم الأخير من مولد شفيعهم الكبير السيد احمد البدوي في طنطا بنصيب غريب ، إذ يجرون حماراً في ذلك اليوم ويتركونه يدخل المسجد من تلقاء نفسه . فإذا دنا من الضريح حيث يحتشد الجماهير تنف كل من استطاع بعضاً من شعره كتموينته حتى يصبح جلد الحيوان المسكين عارياً كراحة اليد . وهناك فرقة أحمدية أخرى تسمى (أولاد نوح) كلها شبان يلبسون (طراوير) تلوها شراية من قطع الجوخ المختلف الألوان . ويحملون سيوفاً خشبية وسياطاً من الجبال السمكية المجدولة للسماة (فرقة) ويلبسون عدة عقود من الخرز . رابعاً : (البراهمة) أو (البراهمية) وهم طائفة السيد إبراهيم المنسوق التي سبق الكلام عن مولده . وأعلامهم وعمامهم

(١) سأصف هنا وغيره من أعمال الدراويش وصفا كاملاً في الفصل للطفة بالأعياد الدورية السامة
(٢) تنطق هكذا بدلاً من الشعراوي .

- وخاصة الطبقات السفلى - هؤلاء الذين يكفون على الرياضة الدينية ويعيشون على الصدقة احتراماً كبيراً ؛ ويستخدم بعض الدراويش الحيل المختلفة للاشتهار بقداسة قائدة وقدرة القيام بالكرامات ، ويعتبر الكثير منهم أولياء

ويحمل من ينحدر مباشرة من ذرية أبي بكر أول الخلفاء لقب « الشيخ البكري » ، ويعتبر ممثل ذلك الخليفة ، وسيطر على جميع طوائف الدراويش بمصر ؛ ويعتبر « الشيخ البكري » الخالي ، وهو أيضاً من سلالة النبي صلى الله عليه وسلم تقيب الأشراف . ولعمر أيضاً ممثل هو « شيخ العنانية » أو « أولاد عنان » ، وهم طائفة من الدراويش سماها هكذا باسم « ابن عنان » أحد شيوخهم المشهورين . وليس لمبان ممثل ، إذ أنه لم يترك خلفاً . ويسمى خليفة علي « شيخ السادات » ، وهو لقب دون لقب « تقيب الأشراف » . ويدعى كل شيخ من هؤلاء الثلاثة « صاحب سجادة » سلفه العظيم . وكذلك « شيخ الطائفة » من طوائف الدراويش يسمى « صاحب سجادة » مؤسس الطائفة . وتعتبر السجادة العرش الروحي . وفي مصر أربع سجاجيد كبيرة وهي لتلك الطوائف الكبيرة التي سأذكرها الآن أشهر طوائف الدراويش في مصر ما يأتي :

أولاً : طائفة (الرقاعية) أسسها السيد أحمد الرقاعي الكبير . وأعلام الرقاعية وعمامهم سوداء ، وقد تكون العمام من الصوف الخالك الزرقة أو اللوصل القاتم الخضرة . ويشتهر دراويش الرقاعية بأعمالهم العجيبة^(١) . ويدعى (العلاوية) أو (أولاد علوان) وهم فرقة من الرقاعية أنهم يفرزون السامير الحديدية في أعينهم وأجسامهم دون أن يقاسوا ألماً . والظاهر أنهم يفعلون ذلك بطريقة تتجدد من يصدق مثل هذه الأعمال . وهم يحطمون أيضاً على صدورهم كتلاً من الجبارة ويتلمون الحجر والزجاج . ويقال إنهم يحترقون أجسامهم بالسيوف وخدسهم بالسلات دون ألم أو جرح . غير أنه قلما تشاهد هذه الألباب الآن . وكانت المادة كما أخبرت أن يقوم الدراويش بتجريف قطعة من جذع النخل ومحوها بمزق غمست في الزيت والقطران ويشعلها . ثم يحمل هذا الجسم اللهب تحت ذراعه في موكب ديني وليس على جسده غير سروال فينبعث اللهب على صدره وظهره ورأسه ، ولا يبدي ألماً .

(١) ويشتهر دراويش مصر أقل مهارة من الهنود في ألعاب الشعرة

الهدى

بِحَمْدِ الشَّاهِدِ الْبَرِّ وَالسَّامِعِ الْبَرِّ

صدر عدد شهر جادى الأول ومن أم موضوعاته :

كلمات لها عقائد — للمرأة ونظام الطبقات — دلالة الموسيقى العربية
في الحكم على العرب — عبقرية محمد العقاد — ماهى العفيدة في نفس
الانسان — دعة رجل « قصيدة » — أحسن ما قرأنا في الصحف
العربية « تليفات »

ذكرى السرفى

وفى هذا العدد بمناسبة ذكرى وفاة الرافى كاتب الأمة العربية ،
تسرت « الأنصار » مقالا للأستاذ محمد سعيد الزين عن نفس الرافى
العربية المؤمنة . ومقالاتاً لرافى نفسه ، لم ينشر في حياته ، وهو
بتنوان « شيطان وشيطانة » ، وفيه يصور الرافى بجماله وقلمه وإلمامه
سورة « اختلاط الجنين »

الاشتراك السوري في مصر والسودان والأقطار العربية ٢٠ قرشا ولعلم
الازمى والطالب ١٥ قرشا . والمكاتب وطلب الأعداد بتوان الأنصار
٢٤ شارع البساتن — القاهرة

ملاحم المحمدي العرفي

كتاب يمثل العرافة في مذاهب
الأوبية والقومية والوحدانية

يطلب من المكاتب الشهيرة وتضمن النسخة ١٥ قرشا

خضراء . وهناك فرق أخرى ينتمى بعضها إلى الطوائف
السابقة ؛ ومن أشهرها (الحفناوية) و (العفيفية) و (الدرمداشية)
و (القشبندية) و (البكرية) و (الليثية)

والإمام بكل عقائد الدراويش وقوانينهم وشعائرهم مستحيل ؛
إذ أن أكثرها مثل عقائد الماسونية لا تداع على غير المظلمين على
أسرارها . وقد وصف لى درويش أعرفه كيف أخذ (المهدي)
أى ميثاق التعريف بالسرى وهو يكاد يكون واحداً عند الطوائف
جميعها . استقبل شيخ الدرمداشية صاحبى هذا قروصاً وجلس
أمامه على الأرض . ثم ضم كل من الشيخ والمريد يده اليمنى إلى
يد الآخر بالطريقة السابق وصفها عند عقد الزواج . وبهذه الحالة
واليدان مغطتان بكف الشيخ أخذ المريد العهد مرهداً وراء الشيخ
هذا الكلام التالى يادنا بالتوبة : « أستغفر الله العظيم (ثلاث
مرات) الذى لا إله إلا هو الحى القيوم . أتوب إليه وأسأل عفوه
وغفرانه وإعتاقه من النار » ثم يسأله الشيخ هل يتوب إلى الله ؟
فيجيب المريد أنه يتوب إلى الله ويرجع إلى الله . وأنه تادم على
ما ارتكب من المعاصى ويقرر أنه لا يعود إلى غيه . ثم يردد بعد
الشيخ أنه يستغفر الله العظيم والرسول الكريم . وأنه يولى عليه
السيد عبد الرحيم الدرمداش الخلق الرافى النبوى معتدياً مثال
شيخه ومرشده إلى الله تبارك اسمه وتعالى . وأنه لا يجيد عن
تعالم الطريقة ولا ينفصل عنها ، ويشهد الله على ذلك مقسماً بالله
العظيم ثلاث مرات . ثم يقرأ الشيخ ومرشده القامحة معاً . ويحتم
المريد الحفل بتقبيل يد الشيخ . وتقوم أعمال الدراويش الدينية
على الذكر خاصة ، فيصيحون أو ينشدون واقفين فى حلقة مستديرة
أو مستطيلة أو فى صفين متقابلين أو جالسين : « لا إله إلا الله » أو
« الله الله الله » أو يرددون أدعية أخرى ، ويكررونها حتى تخور
قوام ، وهم أثناء ذلك يجركون الرأس أو الجسم جميعه أو الذراعين .
ويستطيعون لبأبهم على ذلك أن يواصلوا هذه الحركة بلا اقطاع
مدة تثير الدهشة . وكثيراً ما يصحبهم من وقت لآخر عازف أو
أكثر على (التابى) أو على (الأرغول) وآخرون ينشدون القصائد
الدينية . ويستخدم بعض الدراويش أثناء الذكر طبلأ صغيراً يسمى
(بازا)^(١) أو دفا . ويقوم البعض الآخر برقص غريب سأصفه
مع أشكال مختلفة للذكر فى فصول قادمة **عنه طاهر نور**

(١) أظفر وصف هذه الآلات فى فصل الموسيقى